العلم الالماني أصوله ومراميه

« تابع المنشور على الصفحة ١٦ »

إذن لم ينحرف العلم عن قصده الانساني ، ولم يطلق رسالته الخالدة في خدمة الحقيقة والمعرفة والسعادة البشرية صدفة ، أو بحكم الظروف المحيطة به . ولكنه تحوّل بربريًا وحشيًا خاضعاً لأوامر العاطفة الجارفة ، مسوقاً بأهدافها المضللة ، عن قصد وتصميم . وكانت تستعر فيه نيران الحقد والتكالب في كل أدوار نضاله المكتّم المتستر ، حتى دارت رحى الحرب ، واصطلى بنارها العالم ، فاذا هو قد أعدّ بهذا الصراع الأسلحة العمياء ، كالالغام المغنطيسية ، والقنابل الطائرة ، والصواريخ الصاعقة وأواغين الشياطين . . .

ألا يستغرب خضوع العلماء النازيين لأوامر الوحشية والطغيان ، مع أن العلماء في كل جيل وقرن حملة مشاعل النور ، وسدنة الحرية الفكرية ، وأقوى المتعصبين إيماناً بحق الانسان في الحياة . ولما سئل العلامة ماكس بورن عن الأسباب أجاب بما ملخصه : ان ذلك يعود في أقوى أسبابه الى نقص في التراث الديمقراطي ، ونقص في التدريب الخلقي ، فالاختصاص — أي عزل أقسام المعرفة في سجون عكمة — وصل عند العلماء الالمان درجة خطرة أصبح هؤلاء فيها ضيقي الأفق ، لا يشعرون بقوتهم ، وقيمة رأيهم ، إلاّ في ميادينهم الخاصة . وانهم ليفقدون الثقة بالنفس كلما خرجوا منها . وتسودهم العقيدة بأن لكل بحث ثقاته المختصين المدركين للامور ، المحيطين بها أكثر منهم . ولذلك يفضل كل فرد منهم أن يتحمل مسئولية الأعمال الأخرى غيره من الناس . فاذا ما نصب شخص نفسه خبيراً سياسيًا (فوهرراً) اتى أقل المقاومة والمعاركة ، واتجه اليه أرق النقد ، لا بل قدمت بين يديه كل شعائر الولاء والاحترام والتقديس .

ولا ننسى أيضاً أن النازي طهّر البلاد من العلماء الأحرار ، وقذف بهم إلى الخارج ، وأحلّ محلهم الشباب المتحمس المؤمن بمبادئه . وأما من حدّثته نفسه بعد ذلك بالخروج على النظام ، أو فضح الأسرار العلمية ، فقد كان الجستابو سيفاً مصلتاً فوق رأسه . وشبحاً مرعباً يقض مضجعه . وإن لذلك العالم في السجون ومعسكرات الاعتقال مكاناً فسيحاً يذوق فيهما أمرّ ألوان التحقير والتعذيب ، وأقسى أنواع الازدراء والتنكيل .

اننا ننظر الى المستقبل بعين التفاؤل ، ونرجو أن لا يلعب العلم مرة ثانية دوراً قهريًا وحشيًا ، ونرجو أن يحقق التعاون العلمي بين الشعوب أحلام السعادة ، ويحرر البشرية من العوز والفاقة والمرض والجهل .

السلط — شرق الاردن — خليل السالم